

الترجمات الثلاث العربية لكتاب الحوار لكونفوشيوس
من منظور نظرية السكوبوس: دراسة موازنة

د. دنغ سونينغ
أستاذ مساعد بكلية الدراسات الأجنبية
جامعة الاقتصاد والتجارة الدولية، بكين، الصين

The three Arabic Translations of *The Analects of Confucius* from the Perspective of Skopos Theory: A Parallel Study

Abstract:

The Analects of Confucius holds an incomparable position in traditional Chinese culture and has left a far-reaching influence on Chinese people, while also making significant contributions to world culture. Due to its importance and value, scholars from various countries have eagerly competed to translate it. It is the first Chinese classical work translated into Arabic, and several translations have been published throughout different historical periods by prominent Chinese and Arab translators, each with its own features and characteristics. Although both Chinese and Arabic cultures share many traits and values, as they both belong to eastern culture, translating "the Analects", which contains profound concepts and meanings, into Arabic is considered a difficult challenge. Based on Skopos theory, this research conducts a comparative analysis of three complete Arabic translations of "the Analects", to demonstrate the role of translating classical works in promoting civilizational exchange and people-to-people communication between China and Arab countries.

Keywords: The Analects of Confucius, Arabic translations, Skopos theory, Cultural exchange, People-to-people connectivity

الترجمات الثلاث العربية لكتاب الحوار لكونفوشيوس
من منظور نظرية السكوبوس: دراسة موازنة

ملخص:

يحتل كتاب الحوار لكونفوشيوس مكانة خاصة، لا تجارى ولا تبارى في الثقافة التقليدية الصينية، وقد خلف تأثيراً بعيد المدى في قلوب الصينيين وأفكارهم، كما قدم إسهامات مهمة في الثقافة العالمية، ونظراً لأهميته وقيمه؛ تسابق العلماء من مختلف دول العالم في ترجمته، وهو أول كتاب من التراث الصيني تُرجم إلى اللغة العربية، ونُشرت ترجمات عديدة له في مختلف الفترات التاريخية من قبل كبار المترجمين الصينيين والعرب، ولهذه الترجمات ميزاتها وخصائصها، وعلى الرغم من أن الثقافتين الصينية والعربية تشتركان في كثير من الصفات والقيم؛ نظراً لأن كليهما تنتمي إلى الثقافة الشرقية، إلا أنّ ترجمة كتاب الحوار الذي يحمل في طياته مفاهيم عميقة وغنية بمعاني اللغة العربية، تعتبر تحدياً صعباً. واستناداً إلى نظرية السكوبوس للترجمة، يقوم هذا البحث بتحليل مقارن لثلاث ترجمات عربية كاملة لكتاب الحوار، لتوضيح دور ترجمة الأعمال الكلاسيكية الثقافية في تعزيز التبادل الحضاري، والتواصل الشعبي بين الصين والدول العربية.

الكلمات المفتاحية: كتاب الحوار لكونفوشيوس، الترجمات العربية، نظرية السكوبوس، التبادل الحضاري، التواصل الشعبي

الترجمات الثلاث العربية لكتاب الحوار لكونفوشيوس من منظور نظرية السكوبوس: دراسة موازنة

المقدمة:

تعتبر الصين ومصر من أقدم وأعرق الحضارات في العالم، وهما أبرز ممثلين للحضارة الشرقية وتتمتعان بالميزات الثقافية والقيم الشرقية المشتركة في حين تتميزان بخصائصهما الفريدة. وتلاقحت الحضارتان الصينية والمصرية على مر العصور بإثراء الفكر البشري وإضاءة نور الحضارة الإنسانية. ولا شك أن الترجمة تلعب دوراً مهماً في التواصل والتبادل والتفاهم بين هاتين الحضارتين العظيمتين، وتفتح كذلك آفاقاً جديدة للابتكار والإبداع من خلال الجمع بين الأفكار والمناهج، والمساهمة في بناء جسور التفاهم والتقدير المتبادل بين الحضارتين وأبنائهما، وتعزيز التنوع الثقافي والحضاري على المستوى العالمي.

وترجمة كتب التراث باعتبارها خلاصة حكمة الشعب وبلورة إنجازات الحضارة الفكرية لها أهمية خاصة. فبدأ المجتمع المصري يتعرف على كتب التراث الصينية وما تحمله من أفكار وفلسفة الحضارة الصينية عبر الأعمال المترجمة منذ نحو مائة سنة. وكان كتاب الحوار هو أول كتب التراث الصينية التي تترجم بالكامل إلى اللغة العربية، وهذا ليس من قبيل الصدفة. فمن بين المجرة الشاسعة لكتب التراث الصينية، يتمتع كونفوشيوس ومحاوراته بمكانة لا مثيل لها في الحضارة الصينية. وقد خلق كونفوشيوس ومعاصروه من المفكرين أكثر عصر ازدهاراً ثقافياً في تاريخ الصين (يسمى بعصر تباري مائة مدرسة فكرية)، الأمر الذي وضع حجر الأساس للثقافة الصينية. سجل كتاب الحوار أقوال وأفعال كونفوشيوس وتلاميذه، واعتبر أهم الكتب للمدرسة الكونفوشيوسية. وأصبحت المدرسة الكونفوشيوسية دون غيرها من المدارس مدرسة رسمية وسائدة للمجتمع الصيني لأكثر من ألفي سنة، وساهم كتاب الحوار مساهمة لا نظير لها في صياغة شخصية الأمة الصينية وبناء العالم الروحي لكل الصينيين. فيمكن القول: إن كتاب الحوار هو أهم كتب التراث الصيني على الإطلاق وأعظمها تأثيراً. حتى نجيب محفوظ الأديب المصري الشهير والحائز على جائزة نوبل للأدب عام ١٩٨٨، عندما سئل عن فهمه للأدب الصيني والثقافة الصينية، ذكر كتاب الحوار، وقال إنه قد قرأ النسخة المترجمة للمحاورات وأعجب به كثيراً. (李振中، 2016، 64-65 页)

ونظراً لمكانة الحوار البالغة الأهمية في الحضارة الصينية، يهتم العلماء الصينيون والعرب بترجمتها إلى اللغة العربية وتقديمها إلى شعوبها، غير أن العديد من هذه الترجمات ما هي إلا ترجمة لمقتطفات من كتاب الحوار، أو غير شاملة، وهناك ثلاث ترجمات كاملة مهمة ومؤثرة ومنتشرة على نطاق واسع لكتاب الحوار هي: ترجمة محمد مكين، وترجمة محسن سيد فرجاني، وترجمة شوي تشينغ قوه وفراس السواح، وهذا مدار المقال الحالي.

إن أول ترجمة عربية كاملة لكتاب الحوار هي ترجمة العالم الصيني الكبير محمد مكين. وُلد محمد مكين عام ١٩٠٦ في أسرة مسلمة في مقاطعة يوننان بجنوب غربي الصين. ومنذ طفولته، بدأ يدرس الثقافتين الإسلامية والصينية واللغة العربية في المدارس وعلى يد كبار العلماء والأئمة الصينيين حتى أتقن كلا اللغتين الصينية والعربية وبلغ مستوى رفيعاً لكل من الثقافتين:

الصينية التقليدية، والعربية الإسلامية. وفي ديسمبر عام ١٩٣١، كان محمد مكين ضمن أول بعثة طلابية صينية للدراسة في جامعة الأزهر المصرية. وبعد أن حصل على شهادة الدراسة التمهيدية في الأزهر، انتقل إلى كلية دار العلوم في القاهرة، وتخرج فيها عام ١٩٣٩. وقام مكين بترجمة كتاب الحوار في عام ١٩٣٤ أثناء دراسته في القاهرة، ونشرت ترجمته عام ١٩٣٥ من المطبعة السلفية للنشر وهو أول كتاب من نوعه عرف العرب بالثقافة الصينية التي يمثل جوهرها في الفكر الكونفوشي (هنا لي ينغ، ٢٠١٨)، وظلت هذه الترجمة العربية الوحيدة لكتاب الحوار لسنوات طويلة.

وتعتبر ترجمة محسن فرجاني من أكثر الترجمات تأثيرًا لكتاب الحوار (ترجم محسن فرجاني عنوان الكتاب إلى محاورات كونفوشيوس) التي ترجمها العلماء العرب. ويُعتبر الدكتور محسن فرجاني الأستاذ بكلية الألسن جامعة عين شمس أحد أبرز المترجمين من الصينية إلى العربية في العالم العربي. تخرج في قسم اللغة الصينية بجامعة عين شمس عام ١٩٨١، وهو من الجيل الأول من المتخصصين باللغة الصينية التي تم تدريبهم بعد إنشاء أقسام اللغة الصينية بالجامعات المصرية، وحصل على الماجستير عام ١٩٨٧ والدكتوراه عام ١٩٩٥. وبالإضافة إلى ترجمة كتاب الحوار عام ٢٠٠٠، صدرت له عددٌ من الكتب المترجمة من أعمال المفكرين والفلاسفة المعاصرين لكونفوشيوس مثل كتاب «الأخلاق» للفيلسوف الصيني «لاو تسو»، و«فن الحرب عند سونيين» الذي يتحدث عن المفكر والمنظر العسكري سونيين، و«الترجمة الكاملة لكتاب ليتزو (فيلسوف الطاوية)»، وغير ذلك من الأعمال المتميزة.

أما ترجمة شوي تشينغ قوه وفراس السواح فهي أحدث ترجمة لكتاب الحوار. الأستاذ شوي تشينغ قوه أكاديمي ومترجم صيني شهير، ترجم إلى اللغة الصينية عيون الأدب العربي، ونقل إلى اللغة العربية دُرّة التراث الصيني. وعمل الأستاذ شوي تشينغ قوه مع زميله فراس السواح الخبير السوري بجامعة الدراسات الأجنبية بالصين لترجمة كتاب الحوار ونشرها في عام ٢٠٢١.

إن هذه الترجمات الثلاث التي نشرت في المراحل التاريخية المختلفة والخلفيات المختلفة كلها ترجمها علماء صينيون وعرب معروفون، ولكل منها خصائصها ومميزاتها. ويحاول هذا المقال عمل مقارنة بين هذه الترجمات من منظور نظرية السكوبوس (Skopos Theory).

منهج البحث:

يعتمد المقال الحالي على المنهج التقابلي بين الترجمات الثلاث من خلال "نظرية السكوبوس"، والتي تم طرحها من قبل اللغوي الألماني هانز جوزيف فيرمير (Hans Josef Vermeer)، الذي يتحرر من أغلال التكافؤ المتمحور حول اللغة المصدر ويندرج في إطار التيار الوظيفي الذي يستأثر فيه غرض الفعل الترجمي (أو السكوبوس) بالأولوية في عملية اتخاذ القرار التي يقوم بها المترجم. ترى نظرية السكوبوس أن الترجمة هي عملية هادفة موجهة نحو الوظيفة المتوقعة للنص، فالهدف وضع الترجمة في خلفية التواصل بين الثقافات، وتؤكد بشكل

خاص على تأثير سياق اللغة الهدف وثقافتها على عملية الترجمة، فإنها تعوض عن أوجه القصور في نظرية الترجمة التقليدية إلى حد ما.

وتدعو نظرية السكوبوس إلى أن الاستراتيجيات المعتمدة في عملية الترجمة يجب أن يتم تحديدها حسب الغرض من الترجمة، مما فتح منظوراً جديداً من وضع النص المصدر والنص الهدف والعلاقة بين بعضهما البعض، ومفهوم الترجمة ودور المترجم، ومعيار الترجمة واستراتيجية الترجمة. وتتطلب نظرية السكوبوس اتباع ثلاثة مبادئ أساسية في عملية الترجمة: الأول، هو مبدأ الغرض (skopos rule)، والثاني، هو مبدأ التماسك (coherence rule)، والثالث، هو مبدأ الإخلاص (fidelity rule). وعلى الرغم من ترابط وتواصل هذه المبادئ الأساسية الثلاثة في عملية الترجمة، فإن "مبدأ الغرض" هو المبدأ الأساسي الذي يجب على المترجمين اتباعه، ولا يمكن تحقيق تماسك الترجمة وإخلاصها إلا على أساس اتباع مبدأ الغرض. (Hans Josef Vermeer, 1984, P.113)، ويمكن توضيح المحتويات الرئيسة للمبادئ الثلاثة كما يلي:

- أ- يعني "مبدأ الغرض" أنه في عملية الترجمة، يجب أولاً اتباع أغراض واضحة، أي أن أهداف ومهام الترجمة هي نقطة البداية والوجهة لعملية الترجمة.
- ب- يعني "مبدأ التماسك" حفاظ النص المترجم على الاتساق والتماسك من حيث اللغة والسياق، أي أن المترجم يحتاج إلى إجراء التعديلات المناسبة وفقاً للاختلافات في عادات وثقافة ولغة قراء اللغة المستهدفة على أساس الحفاظ على معنى وأسلوب اللغة المصدر، وذلك لتحقيق أفضل تأثير للترجمة.
- ج- يعني "مبدأ الإخلاص" أن النص المترجم يجب أن يكون مخلصاً قدر الإمكان للنص الأصلي من حيث المعنى والشكل، أو كما نقول: الشكل والمضمون، أي أنه في عملية الترجمة، يحتاج المترجم إلى احترام نية وأسلوب النص الأصلي، ونقل معناه وخصائصه الجوهرية قدر الإمكان، حتى يتمكن قراء اللغة الهدف من فهم النص المترجم وقبوله.

أولاً: أغراض الترجمات الثلاث

كما ذكرنا سابقاً، إن هذه الترجمات الثلاث لكتاب الحوار صدرت في مراحل تاريخية مختلفة، هؤلاء المترجمون الثلاثة لديهم هويات مختلفة، ويعيشون في عصور مختلفة، وبطبيعة الحال لديهم أغراض مختلفة من الترجمة.

وفي مقدمة ترجمته العربية لكتاب (الحوار) لكونفوشيوس، كتب محمد مكين تعريفاً بسيطاً: "عزمت على أداء ما على كتفي من واجبين واجب ديني وواجب وطني، إذ إنني مسلم وصيني فيجب عليّ أن أبذل جهدي لمساعدة من لا يعرف اللغة الصينية من أبناء ديني ليسهل عليهم الإلمام بحكم الصين وآدابها، كما يجب عليّ أن أسعى بكل ما في وسعي وراء نشر العقائد التوحيدية والشرائع المحمدية في الصين." ويبدو أن الأستاذ محمد مكين كرس مجهوداته طول العمر لإنجاز هذين الالتزامين.

وأكمل بشرح السبب المباشر ترجمته كتاب الحوار قائلاً: "أما الواجب الوطني فقد سألني يوماً فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ إبراهيم الجبالي عن حكمة حكيم الصين الأكبر (كونفوشيوس) فوعدت فضيلته بنقل أحاديثه إلى اللغة العربية ولكن للأسف لم يسعني الوقت لكثرة الدروس وتأخرت عن إنجاز هذا الوعد الذي ما نسيتُه وما تناسيته، حتى طلب مني حضرة الأستاذ الفاضل السيد محب الدين صاحب الفتح أن أطلع قراءه على حكم الصين وأدائها فلم أجد مندوحة عن قبول هذا الطلب الوجيه فإن في ذلك إنجازاً للوعد القديم فاغتمت فرصة الإضراب العام في الجامعة الأزهرية وشرعت في أداء هذا الواجب الوطني ليكون الإضراب عن دراية إلى رواية وعن استفادة إلى إفادة." (马坚، 2019، 4 页)

وعلياً أن نضع في اعتبارنا الظروف الاجتماعية التي عاشتها كل من الصين ومصر. ففي عام ١٩٣٥ الذي قام فيه محمد مكي بترجمة كتاب الحوار، كانت الدولتان ترزحان تحت وطأة الاستعمار، ولم تحسلاً على الاستقلال. والإضراب العام الذي ذكره محمد مكي في مقدمة ترجمته كان ضد الاحتلال البريطاني واستغلاله الاقتصادي. وكولتين شريقتين قد خلقنا تاريخاً وحضارة، وتعرضنا في ذلك الوقت لمعاناة واضطهاد، فإن استكشاف تراثهما الثقافي وإحياء روحهما الحضارية الشرقية لمقاومة الغزو الثقافي للمستعمرين الغربيين له أهمية بالغة.

وصدرت ترجمة محسن فرجاني لكتاب الحوار ضمن مجموعة ترجمته للكتب الأربعة للمدرسة الكونفوشيوسية في عام ٢٠٠٠ السنة الأولى من القرن الجديد، حيث شهدت العلاقات بين الصين مصر مزيداً من التطور، ففي أبريل ١٩٩٩، أقامت مصر علاقة تعاون استراتيجية مع الصين، واعتبرت أول دولة عربية وإفريقية تقيم علاقة تعاون استراتيجية مع الصين. كما لفتت معجزة التنمية الصينية كدولة شرقية كبيرة أنظار المجتمع المصري، وازداد اهتمامهم بمعرفة الصين ماضيها وحاضرها، مادياتها ومعنوياتها. ومن هنا قام محسن فرجاني بترجمات أهم الأعمال الكونفوشيوسية وغيرها من عيون التراث الصيني، "بحيث يستطيع القارئ (المصري والعربي) الوقوف على الصورة الكاملة والواضحة في تصورات الفلسفة الصينية." (محسن فرجاني، ٢٠٠٠، ص ١٢).

وأوضح فرجاني أغراض ترجمته وأهمية تلك الكتب التراثية الصينية ومدى الاستفادة منها، وتمنى أن يكون بهذه الترجمة، قد أضاف إلى المكتبة العربية واحداً من أهم كنوز التراث الإنساني، وأقدم الفلسفات التي ما زالت باقية، بعد عشرات القرون، حتى اليوم. صحيح أن خطي التقدم في الصين الأم- البر الصيني- كانت وثابة في سعيها نحو ميراثها القديم؛ ومع ذلك، فالمراقب لأحوال الصين، يدرك أن فلسفة إنسانية مثل الكونفوشيوسية تشكلت وسط حشود الناس وعاشت معهم، تلك العصور، ومن ثم فقد اكتسبت قوة بقاء فوق الناس أنفسهم، كما ذكر في مقدمة ترجمته الأخرى لكتاب التراث الصيني (ليتزو)، "على أن اهتمامي بالتراث الصيني، لم يكن مدفوعاً باعتبارات ترى أية قداسة ضمنية لسوابق في التجربة الإنسانية، وسواء في المجال الفلسفي أم الفكري، بما في ذلك الموارد التي تحمل سمة القداسة، فلست بأي حال من دعاة العودة للقديم، أو استلهم مقولاته أو التأسى بحكمته (بافتراض حكمة ما للقدماء)، بل على العكس، فقد كان (التقدم)، و(التطلع للأمام)، (الحاضر هو سيد الماضي...) إلخ، كلمات ومعان عشتها

واقعاً، وتشربت فحواها..." "فقط أدفع إلى القارئ بهذه الترجمة وكل ترجمة للتراث، في محاولة لكي نتصفح معاً فصولاً من تجربة الفكر في مراحل مبكرة من مسيرة الإنسانية؛ لعلنا نتوفر على أسس أمتن وتقديرات أكثر ثقة وصواباً في رصد وتحليل تاريخ العقل الإنساني، كي نلحظ طريقتها الفريدة في صياغة مسيرة تقدمه، أملاً في الاهتداء إلى المعنى." (محسن فرجاني، ٢٠١١، ص ٣٣-٣٤).

ووفقاً لشوي تشينغ قوه، فإن الترجمة ليست مجرد تحويل بسيط للكلمات، بل حلقة وصل بين الحضارات المختلفة وجسر يعزز التعلم المتبادل بين الحضارات. وفي مقابلة أجراها معه مراسل صحيفة الشعب اليومية، قال الأستاذ شوي، "منذ العصور القديمة وحتى الوقت الحاضر، هناك عدد لا يحصى من الكتب العربية عن الصين. ولكن بسبب الحواجز اللغوية، فإن معظمها يدور حول ما يأكله الصينيون وما يشربونه وعاداتهم المعيشية، ولا يعرف العرب الكثير عن الحياة الروحية والفكر والفلسفة والأدب الصيني، وإن أعظم قيمة لعمل بالترجمة، يمكن لعدد أكبر من الصينيين والعرب فهم جمال أفكار وثقافات بعضهم البعض." (方经纶等، 2022)

كما يرى شوي أن الترجمة يجب أن تنقل بأمانة الجوهر الفكري للعمل الأصلي بلا شك، وأن تنقل التفرد والبراعة الفنية لأسلوب العمل الأصلي قدر الإمكان، لذا فإن الأمانة هي الأولوية، ولكن من أجل إعطاء الترجمة مظهرًا أنيقًا ولائقًا، القليل من "الخيانة" لا غنى عنه في بعض الأحيان. وذلك لأنه لا ينبغي تفسير الوفاء ألياً بمعنى تطابق الكلمة بالكلمة، ففي بعض الأحيان، من الضروري إجراء بعض التعديلات النصية، وتغيير البنية الجمالية، وحتى تعديل الاستعارات من أجل تحقيق اتساق النغمة العامة للنص وإيقاع موسيقى اللغة. 彭子倩، (2024)

ونظرًا لاختلاف أغراضهم في الترجمة، اتخذ كل واحد منهم استراتيجيته الخاصة به في الترجمة.

ثانيًا: مقارنة المصطلحات الأساسية في الترجمات الثلاث

يسجل "كتاب الحوار"، أعلى كلاسيكيات الكونفوشيوسية، أقوال وأفعال كونفوشيوس وتلاميذه، وهي عبارة عن مجموعة من الأفكار التي جمعها تلاميذه من كلمات كونفوشيوس. مع أن هذه المجموعة من النثر مقسمة إلى ٢٠ فصلاً، ولكن لا يوجد ارتباط ضروري بين هذه الفصول، ولا يوجد موضوع موحد في داخل كل فصل. على الرغم من ذلك، ليس من الصعب على القراء أن يفرزوا نظام الفكر الكونفوشيوسي من هذه الأقوال المتناثرة المتفرقة. السر يكمن في الظهور المتكرر للمصطلحات المفاهيمية الأساسية. وتشبه هذه المصطلحات الخيوط التي تمر عبر الكتاب بأكمله. فعلى سبيل المثال، وردت كلمة "仁" ١٠٩ مرات، و"礼" ٧٥ مرة، و"君" ١٠٧ مرات (李坤، 2011، 84 页)، في "كتاب الحوار" الذي يحتوي على نحو ١٠٠٠٠ كلمة فقط.

وعلى الرغم من أن هذه المصطلحات الأساسية قد تكون موجزة التعبير في النص الأصلي، إلا أن ترجمتها إلى اللغة الهدف تسبب صعوبة نظرًا لمعانيها الغنية وذكرها المتكرر في الكتاب بأكمله، مما يؤدي إلى تعقيد الترجمة. (王辉، 2001، 116 页)

ويمكننا استخدام مصطلحات مثل: "仁" و"礼" و"君子" كنماذج للقيام بالمقارنة بين الترجمات الثلاث السابقة الذكر، إذ إن هذه الكلمات من أهم المصطلحات في كتاب الحوار وأكثرها تكريرًا، حيث أخذ كونفوشيوس "仁" باعتباره الجوهر و"礼" كمطلب خارجي، مما يرشد الناس ليصبحوا "君子"، ويمكن تفصيل ذلك كما يلي:

١- ترجمة كلمة "仁"

تقع كلمة "仁" في قلب الفكر الفلسفي لكونفوشيوس، وتعتبر أعلى مراتب الانضباط الشخصي، تحتوي على مضمون إنساني واسع وعميق، وقد قدم كونفوشيوس تفسيرات مختلفة لهذه الكلمة في سياقات ومناسبات متنوعة.

نموذج (أ)

النص الأصلي:

樊迟问仁。子曰：“爱人。” (12.22)

ترجمة مكين:

سأل (فان جي) عن المروءة فقال الأستاذ: (حب الإنسان).

ترجمة فرجاني:

جاء "فانش" إلى كونفوشيوس، وسأله عن معنى "الإحسان"، فأجابه: "الإحسان هو المحبة".

ترجمة شوي وفراس:

سأل (فان تشي) عن المروءة. فقال كونفوشيوس: "هي في محبة الإنسان".

نموذج (ب)

النص الأصلي:

子曰：“人而不仁，如礼何？人而不仁，如乐何？” (3.3)

ترجمة مكين:

قال الأستاذ: "إن لم يكن الإنسان ذا مروءة فماذا تفيد الآداب؟ إن لم يكن الإنسان ذا مروءة فماذا تفيد الموسيقى؟".

ترجمة فرجاني:

قال كونفوشيوس: "إذا صار قلب الرجل خلواً من الإنسانية، فما النفع من تمسكه بقواعد المعاملات الكريمة؟ إذا فرغ قلب امرئ من معنى الإنسانية فلن يكون لشيء في حياته معنى، حتى وإن ملأ الدنيا كلاماً وخطباً ومواعظ حول المعاني الراقية الجميلة".

ترجمة شوي وفراس:

قال المعلم: "إذا كان الشخص بلا مروءة، فعلى أية شاكلة تكون آداب معاملاته؟ وعلى أية شاكلة تكون موسيقاه؟".

نموذج (ج)

النص الأصلي:

子曰：“里仁为美。择不处仁，焉得知？” (4.1)

ترجمة مكين:

قال الأستاذ: "نعم الحيّ حيّ ذوي مروءة. كيف يكون عاقلاً من لا يؤثر مجاورة ذوي المروءة؟".

ترجمة فرجاني:

قال كونفوشيوس: "ليس أفضل من السكنى بجوار جار طيب النفس، كريم الخلق، فمن غفل عن ذلك، فقد تناءت عنه الحكمة، وازورَّ عنه الرشاد."

ترجمة شوي وفراس:

قال المعلم: "حسن الجوار من حسن المروءة. فكيف يمكن عاقلاً السكنُ في جوارٍ يفتقد أهله إلى المروءة؟".

ومن الملاحظ أن ترجمة مكين وترجمة شوي وفراس تستخدم كلمة "المروءة" لوصف "仁"، مما يحتفظ بوحدة الترجمة وتوافقها مع النص الأصلي. ولكن أضيفت ملاحظة في ترجمة شوي وفراس لشرح معنى هذا المصطلح بشكل أوضح: "قد جرت ترجمتها (كلمة Ren) إلى اللغة الإنجليزية بصيغ قريبة من هذه الألفاظ العربية مثل: الإنسانية، الطيبة، النزوع إلى عمل الخير، الإيثار... إلخ. ولكنها في الواقع مفهوم عصي على الترجمة، لأنها لا تدل على نوع معين من الفضائل أو الخصائص الإيجابية، بقدر ما تشير إلى قدرة داخلية لدى كل البشر على فعل الخير... وقد اخترنا في ترجمتنا استخدام كلمة (المروءة) كمقابل للكلمة الصينية Ren. فقد ورد في القاموس المحيط: مرو مروءة فهو مريء، أي ذو مروءة وإنسانية. وورد في قاموس المنجد أن المروءة تعني كمال أخلاق الرجولة". (شوي تشينغ قوه وفراس السواح، ٢٠٢١، ص ٥)

أما ترجمة فرجاني، فتستخدم الكلمات المختلفة في السياقات المختلفة. فقد اختار "الإحسان" و"الإنسانية" و"طيبة النفس" في الأمثلة السابقة الذكر. كما استخدم "مكارم الأخلاق" و"كرم ومروءة" و"الفضائل" وغيرها في الأماكن المختلفة في ترجمته لوصف "仁". وتبدو ترجمته طويلة نسبياً، وتميل إلى التفسير.

وقد يرجع هذا الاختلاف في اختيار الكلمات إلى اختلاف أغراض المترجمين في ترجمتهم.

فمن الواضح أن استخدام كلمة "المروءة" بشكل موحد لترجمة "仁" قد يفقد بعض معناه، ولكنها تظهر التماسك والاتساق، وتبرز جوهر أفكار كونفوشيوس ونظاميتها. قام مكين بالترجمة تلبية لطلب من العديد من العلماء المصريين المهتمين بالثقافة الصينية، في حين أولى شوي اهتماماً أكبر نسبياً بنشر أفكار كونفوشيوس وقبولها على نطاق أوسع.

أما فرجاني فيركز على تفهيم القراء المصريين والعرب المعنى العام لأقوال كونفوشيوس وإعطائهم صورة عامة لأفكاره أكثر من تركيزه على منهجيتها ونظاميتها. وفي بعض المناسبات، اختاره "الإنسانية" أو "الإحسان" لترجمة كلمة "仁" يبدو أنه أكثر انسجاماً مع المعنى الأصلي لكلمة السياق المحدد، ويمكن أن يثير صدى في نفوس قراء اللغة الهدف كما يثيرها في نفوس قراء اللغة الأصلية.

ب- ترجمة كلمة "礼"

في النظام الأيديولوجي لكونفوشيوس، يعد "礼" مفهوماً مهماً يأتي في المرتبة الثانية بعد "仁" وهو التعبير الخارجي عن "仁". وهو المصطلح العام للمعايير السلوكية والطقوس للمجتمع الصيني القديم، بما في ذلك الأنظمة (النظام الرسمي، والعقاب، وما إلى ذلك)، والآداب (الطقوس المختلفة، وزخارف الزي الرسمي، والأواني)، وكذلك المعايير الأخلاقية (王辉، 2001، 118 页)

نموذج (أ)

النص الأصلي:

子曰：“大哉问！礼，与其奢也，宁俭；丧，与其易。林放问礼之本也，宁戚。” (3.4)

ترجمة مكين:

سأل (لين فانغ) عن أصول الآداب، فقال له الأستاذ: "إن هذا سؤال عظيم! اعلم أن التقدير في حفلات الفرح أفضل من التبذير والحزم في حفلات التشييع أفضل من العناية بالمظاهر الفاخرة".

ترجمة فرجاني:

جاء رجل اسمه "لين فانغ" وسأل كونفوشيوس أن يعظه بموعظة يضعها نصب عينيه، فأجابه: "إن مسألتك لعظيمة جداً، فاعلم، حتى وإن أقمت مأتماً، لا تفرط، فليس الحداد على ميت بعدد ما أوقدت من شموع في جنازته، وإنما بجلال أحزانك بالصدق المتقد في عميق وجدانك".

ترجمة شوي وفراس:

سأل (لين فانغ) كونفوشيوس عما هو أساسي في الطقوس. فقال المعلم: "يا له من سؤال! الاقتصاد في الطقوس أفضل من الإسراف، والحزن الصادق في المأتم أفضل من الإفراط في المظاهر".

نموذج (ب)

النص الأصلي:

子曰：“君子博学于文，约之以礼，亦可以弗畔矣夫。” (6:27)

ترجمة مكين:

قال الأستاذ: "الرجل الكامل الخلق إذا أوغل في العلوم، وكبح نفسه بالآداب، فمن الممكن أن لا يخالف الصواب".

ترجمة فرجاني:

قال كونفوشيوس: "من تعمق في مطالعة سجلات التاريخ، ونهل من معين أدبي عريق، ثم تحصن بمبادئ الخلق القويم، فقد عصم نفسه من الانحراف عن جادة الصواب والعدل والإنسانية".

ترجمة شوي وفراس:

قال المعلم: "الرجل النبيل الذي تعمق في دراسة سجلات الثقافة، وأدب نفسه بقواعد الأدب والمعاملات، لا يمكن أن يخرج عن جادة الصواب".

نلاحظ أن مكين استخدم كلمة واحدة هي "الأداب" لترجمة "礼"، واستعمل شوي وفراس بصورة رئيسة عبارتين "قواعد الأدب والمعاملات" و"الطقوس" لترجمة "礼" في الظروف المختلفة. وأدخل شوي وفراس ملاحظة لشرح معاني هذه المصطلح الغنية العميقة عندما ظهر لأول مرة كما فعلاه بمصطلح "仁". (شوي تشينغ قوه وفراس السواح، ٢٠٢١، ص٩)

أما فرجاني فاختار كلمات عديدة لترجمة "礼" مثل "موعظة" و"مبادئ الخلق القويم" في النموذجين السابقين، و"الشرائع" و"الفضائل" و"الحقوق" و"القواعد الرسمية المقررة" و"الأخلاق السامية" في الأماكن الأخرى، مما أثرى معنى هذه الكلمة.

ج- ترجمة كلمة "君子"

نموذج (أ)

النص الأصلي:

子曰: “君子欲讷于言而敏于行”(4:24).

ترجمة مكين:

قال الأستاذ: "الرجل الكامل الخلق يرجو أن يكون مقتصدًا في قوله ومجدًا في عمله".

ترجمة فرجاني:

قال كونفوشيوس: "العاقل من زاد فعله عن قوله، والذكي من تعجل الفعل وتمهل القول".

ترجمة شوي وفراس:

قال المعلم: "الرجل النبيل يتأنى في أقواله ويسرع في أعماله".

نموذج (ب)

النص الأصلي:

子曰: “君子不器。” (2.12)

ترجمة مكين:

قال الأستاذ: "ليس العالم الكامل الخلق بأداة".

ترجمة فرجاني:

قال كونفوشيوس: "إن رجلا ذا علم وموهبة لا يجدر به أن يعمل مثل آلة صماء، مثل أداة منزلية رخيصة متواضعة".

ترجمة شوي وفراس:

قال المعلم: "الرجل النبيل ليس مثل الأداة".

من الملاحظ أن ترجمة مكين، وشوي وفراس يستخدمون كلمة موحدة لترجمة "君子" ألا وهي "الرجل الكامل الخلق" و"الرجل النبيل" على حدة. وأضاف شوي وفراس الملاحظات لتوضيح كلمة "君子" مثلما فعلا في النموذجين السابقين وكما شرح معنى "الأداة" في هذا السياق.

واختار فرجاني عبارات مختلفة مثل "العاقل" و"رجل ذا علم وموهبة" و"الشريف الجليل" و"الماجد" و"الذكي العاقل" و"العاقل المهذب" لترجمة "君子" على حسب الظروف.

ثالثاً: مقارنة ترجمة التشبيه المحمل بالدلالات الثقافية في الترجمات الثلاث

على الرغم من أن اللغتين الصينية والعربية لديهما أوجه تشابه في البلاغة، وفي بعض الأحيان يمكن ترجمة التشبيه حرفياً، لكن في بعض الأحيان الأخرى إذا ترجم التشبيه الأصلي حرفياً، فلا يستطيع القراء العرب فهم الدلالات الثقافية العميقة من هذا التشبيه.

نموذج:

النص الأصلي:

子贡问曰：“赐也何如？”子曰：“女，器也。”曰：“何器也？”曰：“瑚璉也。” (5.4)

ترجمة مكين:

سأل (تس كونغ) قائلاً: "كيف شخصيتي؟" قال له الأستاذ: "أنت إناء." قال: "أي إناء أنا؟" قال: "أنت إناء للقربان مرصع بالجواهر".

ترجمة فرجاني:

جاء تسيكون إلى كونفوشيوس، وسأله: "قد قلت رأيك في كل واحد من تلاميذك، فكيف تراني؟" فأجابته: "إن كان يوصف الرجل بأنه حكيم عاقل، فأنت بذاتك الحكمة" فسأله: "وكيف ذاك يا سيدي؟" فقال: "قد نظرت فما رأيت أحداً أكثر دراية منك بأمور الحكم في طول البلاد وعرضها".

ترجمة شوي وفراس:

سأل (تسي قونغ) كونفوشيوس: "ماذا تقول عن شخصيتي؟" فقال كونفوشيوس: "أنت إناء" فقال (تسي قونغ): "ما نوع هذا الإناء؟" قال كونفوشيوس: "إناء قربان مرصع بالجواهر".

شبه كونفوشيوس شخصية تلميذه (تسي قونغ) بـ "الأداة"، باعتباره مفهوماً يحمل معاني ثقافية صينية محددة. مثل قول كونفوشيوس: "الرجل النبيل ليس مثل الأداة"، فمن وجهة نظره إن "الأداة" تستخدم لأداء وظيفة، أما عقل الرجل النبيل فليس ضيقاً ومحصوراً في أداء وظيفة واحدة، ولا يقتصر على رؤية معينة للعالم (شوي تشينغ قوه وفراس السواح، ٢٠٢١، ص ٢١). ولكن في الثقافة العربية، ليس شائعاً استخدام "الأداة" كالمشبه به لوصف شخص، فقد تؤدي الترجمة الحرفية إلى سوء فهم القراء. بالإضافة إلى ذلك، فإن القراء العرب قد لا يكونون على دراية بمعنى "قربان مرصع بالجواهر" ودلالته في الثقافة الصينية كوعاء حمل الدخن السامي في طقوس تقديم القربان.

ونظراً لذلك، فقد فسر شوي وفراس معنى في الملاحظة: عندما يقول كونفوشيوس عن (تسي قونغ) بـ "إناء قربان مرصع بالجواهر"، يعني أنه رجل ذو فائدة وأهمية، ولكنه لم يبلغ مستوى الرجل النبيل (شوي تشينغ قوه وفراس السواح، ٢٠٢١، ص ٦١). أما فرجاني فلم يتقيد بكلمات النص الأصلي، بل أعاد صياغة الكلمات بشكل تام حسب فهمه لها.

رابعاً: تقييم الترجمات الثلاث على أساس نظرية السكوبوس

إن الترجمة هي سلوك تواصل يجمع بين الوظيفة الثقافية والوظيفة التواصلية. وتوجد علاقة ثلاثية في الترجمة، أي الكاتب الأصلي- المترجم- قارئ الترجمة. وفي عملية الترجمة، يجب على المترجم استجلاء معنى العمل الأصلي واستنتاج نية كاتبه من خلال سياق النص الأصلي، والتوصل إلى إجماع معرفي مع الكاتب الأصلي. هذا من جهة ومن جهة أخرى، على المترجم نقل النية الأصلية والمعلومات ذات الصلة بالعمل الأصلي إلى القارئ المستهدف من خلال الترجمة ليكون وسيطاً في هذه العلاقة الثلاثية لاكتمال التواصل بين الثقافات. وحسب نظرية السكوبوس، طالما يمكن تحقيق الغرض من الترجمة، يمكن ترجمة النص الأصلي حرفياً أو إعادة كتابته بالكامل، أو اتباع أي استراتيجية ترجمة تجمع بينهما. فيمكن القول: إن جوهر نظرية السكوبوس هو أن طرق واستراتيجيات الترجمة يتم تحديدها من خلال الغرض أو الوظيفة المقصودة للنص المترجم.

وقد لاحظنا من خلال ما سبق إصدار الترجمات العربية الثلاث لكتاب الحوار في خلفية تاريخية مختلفة، مع اختلاف هويات المترجمين وأغراض الترجمة والفئة المستهدفة من القراء.

وقد تم إصدار ترجمة مكين في عصر الاستعمار، وبصفته مسلماً صينياً كان غرض المترجم هو تقريب الثقافتين وتعزيز التفاهم بينهما. وترجمت بدعوة من العلماء المصريين، وفي ذلك الوقت، كان المصريون لا يعرفون شيئاً عن الثقافة الصينية، ولم تترجم أي أعمال عن الثقافة الصينية قبلها، فبطبيعة الأمر، كان قراؤها المستهدفون الأولون هم العلماء والمتقنون المصريون. لذلك، اهتم مكين بتطابق الكلمات المترجمة مع الكلمات الأصلية، وحذر من إدخال كثير من فهمه وتفسيره، محاولاً الحفاظ على المظهر الأصلي للكلاسيكيات الصينية قدر الإمكان. لقد تبنى طريقة ترجمة موحدة عند ترجمة المفاهيم الأساسية في كتاب الحوار، حتى يظهر تكرار ورود هذه المفاهيم في الكتاب ويشعر القراء بتأكيد كونفوشيوس عليها. كما أنه لم يصف أي تعليقات تقريباً عند ترجمة التشبيهات المحملة بالثقافة الصينية تجنباً من فرض تفسيره الخاص للنص الأصلي على القراء.

في حين تم إصدار ترجمة فرجاني في مطلع القرن الجديد حيث تعزز التواصل والتفاهم بين الشعبين الصيني والمصري على نحو متزايد، أعجب المصريون بتطور الصين السريع وازدادت رغبتهم في معرفة الصين قديماً وحديثاً. لذا، لم يتقيد فرجاني في ترجمته بألفاظ النص الأصلي عندما واجهته العبارات والتشبيهات المحملة بالثقافة الصينية والصعوبة الفهم بالنسبة للقراء المصريين العاديين، وفضل نقل معناها بأسلوبه الخاص حتى يسهل على القراء فهمها. وتميل ترجمته إلى التفسير، وتبدو طويلة نسبياً. هذه الطريقة المتخذة في ترجمته تساعد في تحقيق غرضه من الترجمة. والجدير بالإشارة، على خلاف "الإخلاص" في دراسات الترجمة التقليدية، يهتم "الإخلاص" في نظرية السكوبوس بأخلاقيات المترجم بدلاً من إخلاصه في نقل كلمات النص الأصلي وأسلوبه، وإن أخلاقيات المترجم ذات دلالتين: احترام الكاتب الأصلي، وعدم خداع القراء (Nord, 2000, P.120-121). وبهذا المعنى فإن ترجمة فرجاني تتوافق مع مبدأ الإخلاص في نظرية السكوبوس.

وأخيراً، فإن ترجمة شوي وفراس هي الأحدث، وقد استفادت من مزايا ترجمات كتاب الحوار التي سبقتها. واهتم المترجم بنقل أفكار كونفوشيوس بقدر اهتمامها بإشعار القراء بجمال أسلوب تعبيره وإثارة رغبتهم في التعرف عليها وعلى الثقافة الصينية، فحاول في ترجمته أن يحتفظ بمظهر النص الأصلي إلى أقصى حد، فاستعمل لغة مذهبية وحمل معاني كثيرة في كلمات قليلة كما هو في النص الأصلي وأضاف الملاحظات لشرح أهم العبارات المحملة بالثقافة الصينية لضمان فهم القراء العرب هذه المعاني.

لقد قمنا بتحليل هذه الترجمات الثلاث من حيث مبدأ الغرض ومبدأ الإخلاص في نظرية السكوبوس. أما مبدأ التماسك، فترى نظرية السكوبوس أن التماسك في داخل لغة واحدة يغلب على التماسك بين اللغات. ويتطلب التماسك داخل اللغة الواحدة من المترجم أن يمكن القارئ من فهم الترجمة في السياق التواصلية والثقافية، كما يقوله بعض العلماء، يجب أن تكون الترجمة "لا تقرأ مثل الترجمة"، من أجل ضمان أداء وظيفتها؛ أما بالنسبة للنص الأصلي، فلا تعتبره نظرية السكوبوس سوى الجمل والبنية التي تستند إليها الترجمة (Nord, 2000, P.31-33)، وبناء على هذا المعنى، فإن الترجمات الثلاث تتبع مبدأ التماسك.

خاتمة:

أولى العالم العربي اهتماماً كبيراً للفلسفة الغربية لفترة تاريخية طويلة، في حين أولى اهتماماً أقل للفلسفة والثقافة الصينية مع أنها تنتمي أيضاً إلى حضارات شرقية. يعود تاريخ الترجمة والدراسة حول الفلسفة والثقافة الصينية في العالم العربي إلى نحو ١٠٠ عام فقط. ونشرت في مصر الترجمة العربية لكتاب "محاورات كونفوشيوس" لمكين في عام ١٩٣٥، ليصبح أول كتاب مترجم للكتب الكلاسيكية الصينية المهمة، وقبل تأسيس جمهورية الصين الشعبية واستقلال الدول العربية، كان هناك عدد قليل من المنشورات حول الفكر الصيني في العالم العربي، وبعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية، وإقامة العلاقات الدبلوماسية بين الصين والدول العربية وخاصة تعزيز القوة الوطنية للصين بعد الإصلاح والانفتاح، أولت الأوساط الأكاديمية العربية عامة والمصرية خاصة المزيد من الاهتمام بالثقافة الصينية، لقد نشروا كتباً مترجمة من الإنجليزية والفرنسية والألمانية. ومنذ القرن الحادي والعشرين، ارتفعت مكانة الصين الدولية بشكل أكبر، وتوطدت العلاقات الصينية العربية بشكل مستمر، فنشأت تدريجياً أجيال من الأساتذة والطلاب والمهتمين الذين يتقنون اللغة الصينية ويعرفون الثقافة الصينية.

ويفضل مشاركة العلماء العرب، تمت ترجمة العديد من الكلاسيكيات الصينية القديمة إلى اللغة العربية، مما يعكس منظوراً شرقياً وموقعاً فريداً. منذ النصف الأول من القرن العشرين وحتى الوقت الحاضر، كان لدى العلماء العرب نظرة عادلة للثقافة الصينية، وتمكنوا من فهم وتقدير الفكر الصيني من منظور وهوية الشرقيين التي تختلف عن تلك الخاصة بالغربيين، وإدراك القيم الروحية الهامة الواردة فيه. وقد لاحظ العديد من العلماء أيضاً تفرد الفلسفة الصينية ويعتقدون أن إنجازات الصين الحديثة يجب أن تعزى إلى حد ما إلى العوامل الإيجابية في الثقافة والفكر الصيني التقليدي (薛庆国等, 2023, 52 页).

وتتزايد عدد الكتب الكلاسيكية الصينية التي تترجم إلى اللغة العربية، وتتزايد أيضًا عدد النسخ المترجمة لنفس الكتاب، وهذا التنوع في الترجمات يساعد القراء العرب على فهم الثقافة الصينية من زوايا متعددة. بالطبع، نظرًا للاختلافات بين الثقافات، من الصعب أن تنقل الترجمة جميع المعلومات الموجودة في النص الأصلي بشكل كامل. ولكن ليس هناك شك في أن ترجمة الكلاسيكيات الثقافية هي طريقة مهمة لتكامل الحضارتين الصينية العربية وتفاهم الشعبين الصيني العربي.

المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع العربية:

- ١- شوي تشينغ، قوه فراس السواح. (٢٠٢١). ترجمة كتاب الحوار للكونفوشيوس. بكين: دار الصين العابرة للقارات.
- ٢- محسن سيد فرجاني. (٢٠٠٠). ترجمة محاورات كونفوشيوس. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- ٣- محسن سيد فرجاني. (٢٠١١). الترجمة الكاملة لكتاب ليتزو (فيلسوف الطاوية). القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- ٤- محمد مكين. (٢٠١٠). ترجمة كتاب الحوار. قونغتشاؤ: دار هواتشنغ للنشر.

٥- هناء لي ينغ. (٢٠١٨). محمد مكين.. عالم مسلم عظيم محب الوطن. مجلة الصين اليوم، متاح في الرابط:
http://www.chinatoday.com.cn/ctarabic/2018/zgmsl/201812/t20181211_800151212.html

ثانياً: المراجع الصينية:

- 1- 方经纶等 (2022)。薛庆国: 好的翻译, 要像谈一场恋爱。人民网。
<http://www.people.com.cn/n1/2022/0930/c32306-32538205.html>
- 2- 李坤 (2011)。《论语》英译困境及思考——以《论语》核心概念词在译本中的英译比较为例。牡丹江大学学报 (4)。
- 3- 李振中 (2016)。马坚传。银川: 宁夏人民出版社。
- 4- 马坚 (2019)。马坚著译文集 (第 9 卷)。北京: 商务印书馆。
- 5- 彭子倩 (2024)。薛庆国: 翻译的价值在于促进不同文明的交流互鉴。中国网。
http://www.chinatoday.com.cn/zw2018/ss/202403/t20240330_800361834.html
- 6- 王辉 (2001)。《论语》中基本概念词的英译。深圳大学学报 (人文社会科学版) (5)。
- 7- 薛庆国、丁淑红 (2023)。中国古代思想在阿拉伯的传播。国际汉学 (1)。

ثالثاً: المراجع الإنجليزية:

- 1-Nord, Christianel. (2001). *Translating as a Purposeful Activity: Functional Approaches Explained*. Shanghai: Foreign Language Education Press.
- 2-Vermeer, H. (1984). *Groundwork for a General Theory of Translation*. Tübingen: Niemeyer.
- 3-Wilss, Wolfram. (2001). *The Science of Translation- Problems and Methods*. Shanghai: Foreign Language Education Press.